# المحاضرة2: مصادر دراسة التاريخ الاسلامي

زخرت الحركة الفكرية في العصور الإسلامية بالكثير من المؤرخين الذين صنفوا كتباً في مختلف فروع الكتابة التاريخية، ولعل من المفيد أن نشير أنه من الصعب أن نجد أمة من الأمم عاصرت المسلمين وكانت أكثر اهتماماً أو نتاجاً في التدوين التاريخي،فتشعبت كتابة التاريخ وتنوعت من حيث المحتوى، فتتعددت المصادر التاريخية ونجد:

**1- <u>التاريخ العام:</u>**

صنف المؤرخون المسلمون كتباً تميز أغلبها بالضخامة أطلق عليها من قبل بعض الباحثين مصطلح "كتب التاريخ العام" لأنها حوت مادة تاريخية عن الأحداث منذ بدء الخليقة وحتى السنة التي يتوقف فيها المؤلف عن متابعة الكتابة وهي في الغالب قبل وفاته بمدة قصيرة ورتبت فيها الأحداث التاريخية التي وقعت قبل البعثة النبوية ترتيباً موضوعياً أو حسب تعاقب الأحداث، أما الفترة الإسلامية فقد اعتمد في تنظيمها حسب تعاقب السنين، وتعرف عند بعض الباحثين بالحوليات.

ظهر النظام الحولي في تنظيم المادة التاريخية في أواخر القرن الثاني للهجرة على يد الهيثم بن عدي(ت207هـ) وذلك من خلال كتابه المفقود "التاريخ على السنين ثم توالت المؤلفات وفقاً لهذا النظام ويعد "تاريخ الرسل والملوك" لمحمد بن جرير الطبري(ت310هـ) أول أضخم كتاب يصل الينا عن المؤرخين المسلمين في التاريخ العام، غير ان هناك الكثير ممن سبقوه في اتباع هذا المنهج، ثم تطورت هذه الطريقة على يد ابن الجوزي(ت579هـ) وابن

الأثير(ت630هـ). أما فائدة هذا النوع من المؤلفات لباحث التاريخ فتتأتى من كونها تضم مجموعة كبيرة من الوثائق مثل الرسائل والمعاهدات والعهود بين الدول والحكام ولتميزها بغنى المادة التاريخية عن الأحداث.

**2- كتب التراجم:**

التراجم جمع ترجمة وهي سيرة مختصرة لشخص معين وهذه السيرة قد تطول وقد تقصر أو تكون بين هذه وذاك حسب ما يراه مؤلف الكتاب وحسب أهمية أصحاب التراجم عنده وهذه السير تجمع في كتاب واحد قد يقع في عدة أجزاء فيطلق عليها اصطلاحاً "تراجم" ولكن ذلك الكتاب قد يكون في الطبقات أو الوفيات أو حسب القرون أو معاجم شيوخ أو في الأنساب وهذه وغيرها هي من أنواع كتب التراجم، ويعد هذا القسم من مصادر التاريخ الإسلامي ذا أهمية بالغة عند الباحثين وذلك لان معظم كتابات المؤرخين العرب المسلمين كانت على شكل تراجم فضلاً عن ذلك تميزت هذه الكتب بالثقة والدقة والغنى بالمعلومات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية، وتأتي مصداقية هذه الكتب من تأثرها بالشروط التي وضعها علماء الحديث ولا سيما اتباع مؤلفيها لمبدأ "الجرح والتعديل" في أغلب الأحيان ومنها المؤلفات لتي تناولت تراجم العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين. وسنذكر أدناه أهم أنواع كتب التراجم:

***كتب الرجال المحلية** :ومن أشهر هذه الكتب "تاريخ واسط" لاسلم بن سهل المعروف ببحشل(ت292هـ) و"تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي(ت463هـ) و"تاريخ دمشق" لابن عساكر(571هـ)، وهذه المؤلفات هي من أهم كتب التراجم، غير انها تحوي أيضا معلومات

مهمة عن المدينة نفسها فتاريخ بغداد مثلاً يضم معلومات نفيسة لا غنى للدراسات الحديثة عنها وهذه المعلومات حول خطط بغداد والحياة الثقافية والتعليمية فيها)

***كتب الطبقات** :ظهرت كتب الطبقات منذ بداية القرن الثالث الهجري على أيدي بعض كبار المؤلفين مثل الهيثم بن عدي(ت207هـ) وابن سعد(ت230هـ) وخليفة بن خياط(ت240هـ) ايضاً ومصطلح الطبقة يعني مجموعة من الأشخاص ينتمون إلى فترة زمنية واحدة ويشتركون في صفة معينة، والفت هذه الكتب في أول أمرها لخدمة علم الحديث النبوي الشريف ولكنها تطورت فيما بعد وتعددت أنواعها فظهرت كتب في طبقات الأطباء والأدباء والفقهاء والشعراء والمغنين ...الخ.

***كتب الوفيات** :وهذه تشكل نوعاً آخر من كتب التراجم نظمت فيه مادة الكتاب على أساس سنوات وفيات أصحاب التراجم، وبذلك تكون طريقة الوصول للترجمة المطلوبة على أساس تاريخ الوفاة ومن بين هذه المؤلفات المطبوعة كتاب "الوفيات" لابن رافع السلامي(ت774هـ) ولكن يجب ان نشير إلى ان بعض الكتب التي اتخذت عناوين مشابهة لم تعتمد هذا النظام، بل رتبت مادتها على أساس آخر مثل "وفيات الأعيان" لابن خلكان(ت681هـ) وغيره.

***كتب التراجم العامة**: وخير من يمثل هذا النوع من المصنفات كتاب ابن خلكان المذكور آنفاً وعنوانه الكامل "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ويعد من أفضل كتب التراجم، لما حواه من مادة تفصيلية ومهمة رتبه على أساس حروف المعجم، ولم يقصره على فئة واحدة من الأشخاص، بل ترجم لجميع الأعيان "المشاهير" ومن مختلف الاتجاهات والاختصاصات، وفيه تراجم للعديد من النساء، والكتاب يعد في غاية الأهمية للباحث في سير

الأشخاص المعاصرين لمؤلفه، وقد أكمل ابن شاكر الكتبي(ت764هـ) نواقص هذا الكتاب وما فات مؤلفه بكتابه "فوات الوفيات."

***معاجم الشيوخ**: اهتم بعض العلماء بجمع أسماء شيوخهم الذين تتلمذوا عليهم في كتاب، وسميت بعناوين عدة مثل "معجم الشيوخ"، "فهرست الشيوخ"، "برنامج ومشيخة" ... الخ. وفي الأعم الأغلب رتبت تراجم هذه الكتب على أساس حروف أسماء أصحابها أو على أساس بلدانهم والنظام الأول هو الأكثر شيوعاً)

***كتب السيرة المفردة**: ظهرت كتب السيرة منذ البواكير الأولى لظهور التدوين التاريخي عند المسلمين، بل ان اهتمام المسلمين بالكتابة التاريخية جاء منصباً أول الأمر على تدوين سيرة الرسول، ولكن في القرون الآتية ظهرت الكتب التي اهتم مؤلفوها بتدوين سيرة أحد الرجال وقد كثرت هذه المؤلفات في العصور الإسلامية المتأخرة، مثل كتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" لابن شداد(ت632هـ) وكتاب "سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي " للنسوي(ت639هـ) أو "الروض الزاهر في سيرة الملك لظاهر يبرس" لابن عبد الظاهر(ت692هـ) أو كتاب "الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر" لابن ايبك الدوادار(ت732هـ) أو "عجائب المقدور في أخبار تيمور" لابن عربشاه(ت854هـ (أو "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر" لبدر الدين العيني(ت855هـ (و"تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور" للمؤلف نفسه، وكتب أخرى عديدة مشابهة، ان هذه الكتب المنشورة حالياً تقدم مادة تفصيلية ودقيقة عن الشخص المترجم له، ولكن بعضها يجب الاعتماد عليه بحذر لان بعض المؤلفين ألفوها هدية للشخص المترجم فلا غرابة حين نجد بعضها مشحوناً بآيات المديح وذكر الحسنات ومهاجمة خصوم المترجم له، كما ان بعضها كما يبدو من العنوان أوقف لذكر

الإيجابيات، ان المادة المتوافرة عن شخصيات هذه المؤلفات هي مادة اولية كتبت أما مشاهدة أو سماعاً عن أناس شاهدوا الأحداث لذا تعد مصادر أصلية.

***كتب التراجم المرتبة على أساس القرون**: نظم بعض مؤلفي كتب التراجم مادة الكتاب على أساس القرن الذي توفي فيه أصحاب تراجمه، ومثال ذلك ما فعله ابن حجر العسقلاني المصري(ت852هـ) وشمس الدين السخاوي، فقد ألف الأول كتاب "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" وصنف الثاني كتاب "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" وتكمن أهمية هذا الكتاب في توفير المادة للباحثين عن تاريخ تلك القرون والمعلومات المقدمة في هذا الصنف ولا سيما الكتابين المذكورين تميزت بالدقة والشمولية والتفصيل، وتعد هذه الكتب من المصادر الأولية لقرب مؤلفيها زماناً ومكاناً في أغلب الأحيان

***كتب السيرة الذاتية والمذكرات**: ألف العديد من المؤلفين القدامى منهم والمحدثين كتباً في سيرهم الشخصية أو سير أسرهم وقد اصطلح على تلك المؤلفات اسم "السيرة الذاتية" وظهرت هذه الكتب منذ العصور الإسلامية غير ان معظمها في عداد المفقودات

**3- تاريخ الدول:**

ألف عدد من المؤلفين المسلمين كتباً قصروها على تاريخ دولة أو أكثر من الدول التي عاصروها أو عاشوا تحت رعايتها، ومن هذه المؤلفات كتاب "التاجي في تاريخ الدولة البويهية" لأبي إسحاق الصابي(ت384هـ) ثم توالت الكتب الأخرى في القرون التالية مثل كتاب "الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية "لابن الاثير الجزري(ت630هـ) وكتاب "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" لابي شامة(ت665هـ) وكتاب "مفرج الكروب في أخبار بني ايوب" لابن واصل(ت697هـ) وكتاب "التحفة الملوكية في الدولة التركية" لبيبرس الدواداري(ت725هـ)

وكتاب "درة الأسلاك في دولة الأتراك" لابن حبيب(ت779هـ (وكتاب "الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية" لابن ايبك الدواداري.

ان هذه الكتب الموجودة حالياً إما مطبوعة أو مخطوطة تقدم مادة تفصيلية عن أخبار الدولة التي أرخت لها ورجالاتها وهي قطعاً أوسع من المادة التي تقدمها لنا كتب التاريخ العام أو كتب التراجم عن أخبار تلك الدول، ولكن الذي يجب الانتباه إليه من قبل الباحثين هو ان بعض هذه الكتب لا يمكن الاعتماد على بعض الاخبار الواردة فيها الا بعد نظر وتدقيق

**4- التاريخ الإداري**

ألف العديد من المؤلفين كتباً خصت الحياة الإدارية في الدولة العربية الإسلامية، منها ما خص ديواناً واحداً مثل كتاب "صبح الأعشى في صناعة الانشا" للقلقشندي(ت821هـ)، فهذا الكتاب وان كان موسوعياً لكنه اتخذ من ديوان الرسائل "الإنشاء" محوراً له، أو كتاب "قانون ديوان الرسائل "للصيرفي(ت900هـ) وألف بعضهم في مبادئ الدواوين وقوانينها مثل كتاب "قانون ديوان الرسائل" لابن مماتي(ت606هـ(، وهناك مؤلفات خصت بعض المؤسسات الحكومية مثل كتب الحسبة والمحتسب التي تحدثت عن شروط المحتسب وواجباته وصلاحياته وأعوانه وميدان عمله ككتاب "الرتبة في طلب الحسبة"لابن الرفعة(ت735هـ) و "نهاية الرتبة في طلب الحسبة "للشيزري(ت589هـ) وغيرهما.

**5- التاريخ الاقتصادي**

هناك العديد من المصادر والمراجع ألفت أو بحثت في التاريخ الاقتصادي، ففي العصور الإسلامية هناك:

*المؤلفات المستقلة في التاريخ الاقتصادي، اذ صنف بعض المؤلفين كتباً في بعض جوانب الاقتصاد العربي الإسلامي، وخير مثال على ذلك كتاب "الخراج "لقاضي القضاة ابي يوسف(ت182هـ) وكتاب "الخراج وصنعة الكتابة" لقدامة بن جعفر(ت329هـ) فهذان الكتابان تناولا مؤسسة إدارية ذات طابع اقتصادي، علماً ان الكتاب الثاني تناول فيه مؤلفه فضلا عن ديوان الخراج دواوين ذات صلة مثل النفقات وبيت المال وغيرهما وذكر ضرب النقود وأوزانها وذكر فيها أسباب حاجة الناس إلى المأكل والملبس والذهب والفضة)

* المؤلفات التي تطرقت ضمن ما تطرقت إليه إلى جو انب اقتصادية من التاريخ مثل كتاب "فتوح البلدان" للبلاذري(ت279هـ) الذي تطرق فيه إلى ذكر النقود وكتاب "الأحكام السلطانية والولايات الدينية" لابي الحسن الماوردي(ت450هـ (فعلى الرغم من ان هذا الكتاب في التاريخ السياسي غير ان مؤلفه تحدث فيه عن الجزية والخراج

**6- كتب النوادر التاريخية**

ألف العديد من المؤلفين المسلمين كتباً يمكن تصنيفها تحت اسم النوادر التاريخية، لانها تضم الطرائف والنوادر والقصص والحكايات والكثير من هذه النوادر حدث فعلاً كما تحوي معلومات قيمة عن الحياة الاجتماعية وعن امال الناس آنذاك، فهي اذن تفيد الباحث في هذه الجوانب ومن أشهر الذين ألفوا في هذا المجال المحسن بن علي التنوخي(ت384هـ) في كتبه: "الفرج بعد الشدة "و"المستجاد من فعل الأجواد"و"نشوار المحاضرة" وكتاب "تفضيل الكلاب على الكثير ممن لبس الثياب"لابن المرزبان البغدادي(ت309هـ) وهو من الكتب النادرة

أو الفريدة في بابها التي وصلت إلينا. وألف المعافى بن زكريا النهرواني(ت390هـ) كتاباً لا زال مخطوطاً بعنوان "الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي.

**7- كتب الجغر فيا التاريخية**

وهي تلك الكتب التي جمعت بين المعلومات الجغرافية والتاريخية مثل كتب البلدان والمسالك والممالك والرحلات، ولعل أقدم مثال وصل الينا في كتب البلدان هو كتاب "البلدان" لليعقوبي(ت292هـ) ثم توالت المؤلفات في الرحلات والمسالك والممالك والخطط، مثل كتب "المسالك والممالك" لكل من المقدسي البشاري(ت381هـ) وابن خرداذبة(ت300هـ)، فهذا الصنف من المؤلفات يزود الباحث بمعلومات قيمة، لا سيما وان معظم من صنفوا في هذا النوع اعتمدوا في ما دونوه على مشاهداتهم الذاتية للبلدان التي زاروها وتجولوا في مناطقها فوصفوها عن قرب وعاصرها بعض الحكومات القائمة فوردت في كتبهم معلومات دقيقة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فضلاً عن الغاية الأساس وهي المعلومات الجغرافية فتعطي وصفاً تفصيلياً عن طبيعة حياة الناس وما تميزوا به من عادات وتقاليد وملبس ومأكل، ويصف طوبوغرافية المناطق التي يشاهدها المؤلف، ويشير إلى الأراضي الزراعية ومنتجاتها وما تشتهر به من تجارات ومصادر المياه، وفي الغالب فان هذا النوع من الكتب يتبع المنهج الذي ترتب فيه المادة المدونة حسب الأقاليم ويشير ايضاً إلى الأديان والمذاهب والصناعات والحرف ... الخ.

**8- الذيول والمختصرات**

ظهر اتجاه في التأليف عند المؤرخين المسلمين يعتمد على تكملة الكتب التاريخية ولا سيما كتب التاريخ العام أو كتب التراجم، وكذلك اختصار بعض تلك المؤلفات سواء من مؤلفي الكتب الأصلية أم من مؤلفين آخرين، والواقع ان كتب الذيول وخاصة تلك التي تبدأ من حيث انتهى المؤلف الأول تعد من كتب المصادر الأولية، وخاصة إذا كان الذيل أو التكملة أو الصلة يذيل على الكتاب لفترة عاصرها ولم يذكرها المؤرخ الأول.أما كتب المختصرات فهي في الغالب لا تأتي بأخبار جديدة ، وقد يسمى الكتاب المختصر باسم "المنتخب" أو "المنتقى" مثل كتاب "المنتخب من تاريخ دمشق "فهذا الكتاب كان يعتمد من قبل الباحثين الذين لا يستطيعون الوصول إلى الكتاب الأصل الذي ألفه ابن عساكر(ت571هـ) في ثمانين مجلداً لانه كان مخطوطاً، أما وقد حقق ونشر في السنوات الأخيرة، فأصبح من الأولى الرجوع إليه لان معلوماته أوسع وأدق.